

الشيء: إِنَّ شجرة البؤس ما زالت تُؤتي ثمارها. قال خالد ولم يستطع أن يُخفي عبوس وجهه: فعسى الله ألا تذوقي أنت ولا بناتك بعض هذه الثمار! ولكن الله لم يستجب لخالد دعاءه في هذه المرة؛ فقد لقيت تفيدة من زوجها ما لقيت، وابتأست في حياتها ما ابتأست. ورأى الضحى ذات يوم بعد حين من الدهر نسوة مجتمعات يبكين أو يتباكين، وما أكثر دعاء النساء لدموعهن! وما أيسر ما تستجيب الدموع لهن إذا دعونها! رأى الضحى ذات يوم هؤلاء النسوة مجتمعات يبكين أو يتباكين، ولم تكن فيهن إلا أيم أو مُطلقة، ولم يكن هؤلاء النسوة إلا «مُنَى» قد تقدمت بها السن والأرامل من بناتها ومعهن جلنار كما عرفها الضحى من كل يوم منذ حملت إلى هذه الدار، فلما فرغ هؤلاء النسوة من بُكائهن أو تباكيهن وأقلعت دموعهن بعض الإقلاع، أخذن يتذاكرن آمالهن الضائعة وآلامهن الملمة، وما كتب عليهن من الشقاء والبؤس، إنهن لم يلقين من الدهر قط رحمة أو روحًا، تقول «مُنَى» لتفيدة: والله ما جرَّ عليك آلامك، وهذا البؤس المتصل الذي أنت فيه إلا الحسد والغيرة؛ فقد زففت إلى زوجك وإنَّ في هذه الدار لقلبًا يكاد الحسد يهلكه. قالت تفيدة في شيء من غضب: والله يا أماه ما أدري! لعلِّي أكون قد جنيت على نفسي حين أخذتُ ما ليس لي بحق، وتسمع جلنار فلا تقول شيئًا، وقد تعودت منذ أعوام طويلة أن تسمع كثيرًا ولا تقول شيئًا، ولكنها تنهض بعد حين مُتثاقلة، فتذهب إلى حجرتها فتلزمها أيامًا، ثم لا تخرج منها إلا إلى جوار أبيها في تلك الدار التي لا يعرف أهلها تحاسدًا ولا تباغضًا ولا تعاديًا، والتي لا لغو فيها ولا تأثيم.

بيت مري أغسطس وسبتمبر سنة ١٩٥٤